دور علماء زليتن في خدمة المذهب المالكي تأليفا وتدريسا وإفتاء
الشيخ محمد فتح الله باني والشيخ عبد الله نور الدين الزّدّام ـ رحمهما الله ـ أنموذجا..

د. محمد شعبان مفتاح الوليد
عضو هيئة التدريس بالجامعة الأسمرية الإسلامية زليتن

استلمت الورقة بتاريخ 2024/07./12، وقبلت بتاريخ 2024/07/25، ونشرت بتاريخ 2024/08/01

الكلمات المفتاحية:
دور العلماء. القسمة. الغرس. التحكيم. زكاة. المولد. يمين الطلاق. الدعوة.

الملخص

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه..
وبعد : فإن منطقة زليتن اشتهرت بكثرة العلماء وحفظة القرآن الكريم قديما وحديثا، وذلك لأسباب منها: وجود زوايا ومنارات العلم والقرآن ومراكز التحفيظ والمعاهد الدينية والتربوية، مثل منارة المشايخ الستة، ومنارة الشيخ عبدالسلام الأسمر، ومنارة الشيخ أحمد الباز، ومنارة المشايخ أولاد سليمان السبعة الفواتير، ومنارة الشيخ محمد الفطيسي، وغيرها من المنارات القديمة والحديثة.
وقد اشتهر عدد كبير من العلماء في علوم الشريعة الإسلامية في الفقه وأصوله والحديث والتفسير واللغة وغير ذلك، وقد كان لبعضهم مؤلفات ومختصرات، ونقل عن بعضهم فتاوى مدونة، ومنهم فضيلة الشيخ محمد فتح الله عبد الكريم باني، والشيخ عبد الله نور الدين الزدام رحمهما الله تعالى، وفي هذا البحث سأقدم إن شاء الله تعالى نماذج من بعض ما دوّن عنهما في الفقه والفتاوى، وسيرتهما العلمية، لإبراز دور علماء بلادنا في خدمة الشريعة الإسلامية وبخاصة الفقه المالكي تدريسا وتأليفا وإفتاء، والدور الكبير الذي قاما به لنشر العلم والمعرفة، والقيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى بالإمامة والخطابة والتدريس والتوثيق والتحكيم لفض النزاعات والخصومات الاجتماعية، وغير ذلك من الجهود.
سائلا المولى عز وجل العون والتيسير والسداد. وأن يجزي علماءنا ومشايخنا وأساتذتنا خيرا وأن ينفع بعلومهم الأمة الإسلامية.
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مقدمة وتمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.
قال الله تعالى (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)[1]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم)[2]

وبعد: فإن لعلماء بلادنا مسيرة علمية وتعليمية ودعوية حافلة بجهود عظيمة في خدمة شريعتنا الإسلامية تدريسا وإفتاء وقضاء وتأليفا، منبثقة من المساجد والزوايا والمنارات العلمية في مدن وقرى بلادنا الليبية من صدر الإسلام إلى الآن..

هذه الزوايا والمنارات العلمية المتخصصة في تدريس وتحفيظ القرآن الكريم وعلومه وتدريس العلوم الشرعية بمختلف تخصصاتها، كان لها ولا يزال الأثر الطيب المحمود في المجتمع، إذ أسهمت في خلق مناخ علمي وثقافي متميز، امتد نوره وجماله وجلاله إلى أفريقيا وأوروبا وآسيا، وأحيت روح الجهاد والتجديد ، والدعوة والصحوة، حيث خرّجت عبر الأزمنة أجيالا من العلماء والدعاة يحملون رسالة الإسلام ويبلغون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصدق عليه الصلاة والسلام حيث قال (يرث هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين وتحريف الغالين)[3]. وبالفعل قام كثير من العلماء بدورهم تجاه دينهم وأمتهم تعلما للعلم وحفظا للقرآن ونشرا للعلم والمعرفة ومنافحة عن دين الله وجهادا في

[1] : سورة التوبة : 122.
[2] : رواه ابن ماجه وغيره. ينظر سنن ابن ماجه: 81/1. باب فضل العلماء والحث على طلب العلم: 224.
[3] : رواه البيهقي: 209/10. رقم: 21439. السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي. أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي. دائرة المعارف . حيدر أباد. الطبعة الأولى . 1344ه.

سبيله سبحانه وتعالى عبر الأزمنة المتعاقبة، وثنايا التاريخ تحفل بأبطال الجهاد من علماء بلادنا ومنهم الشيخ المجاهد عمر المختار وغيره.

وقد اخترت موضوعا له علاقة بهذه الجهود العظيمة، وهو دور بعض علماء بلادنا من منطقة زليتن في نشر وتعليم علوم الشريعة الإسلامية، وبث المعرفة النافعة لبني الوطن ..
اخترت إعداد بحث عن الشيخين الفاضلين الشيخ محمد فتح الله عبدالكريم باني، والشيخ عبد الله نور الدين الزدام رحمهما الله. ـ وهما من كبار وفضلاء مشايخ وعلماء منطقة زليتن ـ في سيرتهما الذاتية وآثارهما العلمية، لِما قاما به من جهد كبير ودور عظيم في المجال المذكور. فجزاهما الله خيرا وأثابهما على ما قدماه من علوم نافعة ودعوة وعمل للإسلام والمسلمين وجعل ذلك صدقة جارية لهما ولمن نشر علمهما ولمن أسهم في ذلك.

خطوات البحث:
قسمت البحث إلى مبحثين في كل مبحث مطلبين.
المبحث الأول : سيرة وآثار الشيخ محمد فتح الله عبدالكريم باني رحمه الله.
المطلب الأول : التعريف بالشيخ رحمه الله .
المطلب الثاني: آثاره العلمية : نموذج من فتاواه.
المبحث الثاني : سيرة وآثار الشيخ عبد الله نور الدين الزدام رحمه الله.
المطلب الأول : التعريف بالشيخ رحمه الله .
المطلب الثاني آثاره العلمية : نموذج من فتاواه.

ـ تخريج الآيات والأحاديث، وعزو الأقوال إلى مصادرها ما استطعت سبيلا.

ـ أذكر المسألة، وبعض التعليقات والتوضيحات عليها من عندي أو من بعض المصادر، ليتبين للقارئ المراد منها.

أهداف البحث والدراسة: البحث في سيرة علمائنا ومشايخنا وتراثهم العلمي لإبرازه للجميع وخاصة طلبة العلم للاستفادة منه ، حيث تعرض تراث علمائنا للطمس أحيانا وعدم إبرازه أحيانا أخرى بسبب ظروف مختلفة..

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في إثبات دور علمائنا وجهودهم في نشر العلم وخدمته وبخاصة الفقه المالكي..

المنهجية: استخدمت في هذا البحث المنهج الاستقرائي للوصل إلى المعلومات الأساسية، ومن ثم عرض بعض المسائل وتحليلها إثراء للمادة الفقهية.

وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد وأن يجزي الأساتذة الفضلاء القائمين على هذا المؤتمر العلمي وأن ينفع بجهودهم بلادنا والأمة الإسلامية أجمعين.. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

المبحث الأول في: في سيرة وآثار الشيخ محمد فتح الله عبدالكريم باني رحمه الله.
المطلب الأول : التعريف بالشيخ رحمه الله .
المطلب الثاني: آثاره العلمية : نموذج من فتاواه.

المطلب الأول في التعريف بالشيخ رحمه الله .
هو الشيخ محمد فتح الله عبدالكريم باني من مواليد زليتن عام 1262 هـ.
يقول عن نفسه في إحدى الوثائق[1]: اسمي محمد بن الحاج فتح الله القبي باني. وقبيلتي: أولاد إبراهيم. وبلدي قضاء زليتن، وحرفتي تدريس العلوم النقلية والعقلية، بإجازة شريفة من جهابذة علماء مصر والشام، وتحقيقها وتوقيفها، وإفادة التلامذة كل يوم بمدرسة مخصصة ومشهورة بقضاء زليتن، وإعطاء الفتوى في الأحكام الدينية للمكلفين من الأمة المحمدية.
وأفاد رحمه الله أنه كان يدرس علوم العقيدة واللغة والشريعة والحديث والقضاء، وكان يدرس للناس صحيح البخاري، وكتاب جوهرة التوحيد في العقيدة بشرح عبدالسلام وبحاشية الأمير، وتفسير كتاب الله تعالى من تفسير الجلالين بحاشية الجمل.
وكان يلي عقود النكاح للناس، وعمل قاضيا شرعيا بمصراتة، ومفتيا للناس متطوعا محتسبا الأجر على الله، وذكر الشيخ رحومة الصاري[2] في سيرته الذاتية رحمه الله أن الشيخ باني هو من أحد شيوخه، ووصفه بالعالم المحقق المدقق، وقد اشتهر الشيخ محمد باني بين علماء زليتن بتضلعه في علم الفقه والعربية، ولعله أول من درس صحيح البخاري بزليتن في فترة لم يشتهر بها تدريس علوم الحديث بزليتن ولا غيرها. وقد بقي بالأزهر ثنتي عشرة سنة ، حيث سافر إلى الأزهر سنة 1283 هجرية ورجع منها سنة 1295 هجرية. وصفه الشيخ علي نديشة بأنه كان آية في علوم العربية كما كان يصفه علماء زليتن الذين درسوا عليه.

تولى القضاء بمصراتة بعد رجوعه من مصر. وبسبب بعض الوشايات والخلافات سجن بسجن السرايا بطرابلس، ثم أفرج عنه، وفصل عن القضاء، لكنه لم يتوقف عن التدريس والفتوى والتوثيق.

ترك الشيخ محمد باني ثروة من الكتب والمخطوطات وتقييدات لبعض الفتاوى، وللأسف فقد تعرضت للحرق والإتلاف على يد الأحباش والطليان عند دخولهم لزليتن، حيث أحرقت النيران المبنى وما فيه، ذكرت ذلك ابنته مريم رحمها الله تعالى، نقله عنها أحد أحفاده، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كان من الراحلين إلى الأزهر لطلب العلم لعدة سنوات، وقد درس على علماء الشام أيضا، لعله لقيهم في الأزهر فأخذ عنهم أو أنه رحل إلى الشام أو الأقصى وأخذ عنهم هناك.

كانت وفاة الشيخ قبل دخول الطليان لليبيا. رحم الله الشيخ محمد فتح الله عبد الكريم باني رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرا وكتب له ما قدم وما خلف من علم صدقة جارية له ولمن أسهم في نشرها.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[1] بعض الوثائق زودني بها الحاج علي باني رحمه الله وكذلك بعض أفراد عائلة باني فجزاهم الله خيرا.. نقلتها بتصرف قليل.

[2] بتصرف من صفحة الدكتور محمد الصاري، وبحث حياة الشيخ رحومة الصاري وآثاره للأستاذ علي الحارس.

المطلب الثاني: آثاره العلمية : نموذج من فتاواه[1].

أجاب الشيخ عن سؤال تقدم جواب بعض المشايخ عليه، وعلى طريقة علماء البلد أن المسألة تعرض على أكثر من عالم ليجيب عنها برأيه، وافق رأيه رأي غيره أم لا.

المسألة الأولى:

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

ما قولكم سادة أهل العلم رضي الله عنكم في قسمة وقعت بين أناس لمدة تقرب من الثلاثين سنة ثم بعد وقوعها قام أولاد آخر الورثة المقتسمين بزعم فساد القسمة المذكورة، مع أن الأرض المذكورة قائمة الحدود ويتصرف كل المقتسمين كل أحد فيما صح له إلى أن مات من مات، وبقية ورثته يتصرفون فيما صح من ورثهم بأنواع التصرفات من غرس وبناء عظيمي المؤنة، وبيع من بعض المقتسمين ومن بعض ورثة بعضهم، والحال أن القائم المذكور حاضر بالبلد عالم بالتصرف المذكور والبيع، من غير عذر شرعي، مع أن الأرض المذكورة غرست كلها ولم يبق منها بلا غرس إلا القليل جدا، كما بنيت بها دور كثيرة، فهل تفسد القسمة المذكورة والحال ما ذكر أم لا ؟ جوابكم والسلام عليكم.

أجاب الشيخ محمد فتح الله باني بقوله: الحمد لله وحيث كان الأمر كما ذكر فلا تنقض القسمة حيث كانت مراضاة؛ لأنها بيع اتفاقا إن كانت من غير تعديل وتقويم ، وعلى المشهور إن كانت بهما، وهذه الأشياء تفوت البيع الفاسد وهي مثله[2] والله أعلم ، وكتبه عبده محمد بن فتح الله باني عفا عنهما آمين.

وعلى المسألة أجوبة متقاربة من بعض الشيوخ :

الشيخ محمد بن محمد (الفطيسي) تقريبا. وجوابه: الحمد لله وبعد فإن الواقع إذا كان كما ذكر في السؤال المرسوم أعلاه من غير زيادة ولا نقص فإن القسمة المذكورة والحال ما ذكر ماضية (لمن) عقدها ووقعت منه ولو كانت فاسدة فضلا عما إذا كانت صحيحة لحصول المفوت لها الذي هو الغرس المذكور والبناء للدور المذكورة والبيع، والله أعلم وكتبه العبد لله تعالى محمد بن محمد (الفطيسي) كان الله له آمين.

الشيخ: سالم بن علي بن الحاج. وجوابه الحمد لله وبعد فحيث وقعت القسمة بين أناس كما في السؤال أعلاه وقد مضت المدة المذكورة أعلاه مع تصرف كل فيما صح له بالغرس والبناء والبيع فهي ماضية ولا سبيل لنقضها ولو فقدت بعض شروطها لفواتها بالغرس وما ذكر معه، إذ في نقضها انتقال من معلوم إلى مجهول، والله ورسوله أعلم، وكتبه عبده سالم بن علي بن الحاج عفا الله عنهم آمين.

والشيخ سالم بن مفتاح الكشر. وجوابه: الحمد لله وبعد فالقسمة المرقومة "فوقُ" مع طول المدة صحيحة ولو كان أصلها فاسدا فضلا عما إذا كان صحيحا يعمل بها شرعا ولا تسمع دعوى من أراد نقضها والله ورسوله أعلم. وكتبه العبد لله تعالى سالم بن مفتاح بن سالم الكشر وفقه الله آمين.

الشيخ : محمد بن أحمد الفطيسي. وجوابه: الحمد لله وبعد فالجواب كذلك والله أعلم وكتبه محمد أحمد الفطيسي عفا الله عنهم آمين.

والشيخ مفتاح بن علي المحجوب. وجوابه: الحمد لله حيث كان الواقع ما في السؤال وكانت قسمة مراضاة فلا سبيل للنقض والله أعلم. وكتبه عبده تعالى مفتاح بن علي المحجوب غفر الله له بمنه آمين.

والشيخ محمد بن محمد قراطم وجوابه: الحمد لله وبعد فإن كان الواقع كما ذكر في السؤال "فوق" فإن القسمة صحيحة معمول بها شرعا، وحيث كان الحكم كما هو مبين فلا تسمع دعوى القائم لحضوره في البلد وسكوته ورضاه بذلك إلا لحجة شرعية تجيز ذلك لتسمع دعواه ويجاب لذلك، والله أعلم، قاله وكتبه على عجلة عبده محمد بن محمد بن الحاج حسن قراطم عفا عنهم آمين.

انتهى ما في الوثيقة.

الأجوبة عن المسألة واضحة مفادها واحد، وأمثلتها كثيرة، على أصول مذهب مالك رحمه الله، فجزى الله الشيخ محمد باني وغيره من المشايخ الذين ذكروا في الوثيقة خير الجزاء وأسكنهم فسيح جناته، وإن قيام المشايخ بالإفتاء في المعاملات بين الناس هو خدمة للمسلمين في دينهم ودنياهم بتعليمهم أحكام الشرع في معاملاتهم المالية والاجتماعية، والتزام الناس بفتاوى العلماء أمر عظيم يدل على التزام المجتمع بدينهم. فالحمد لله أولا وآخرا.

[1] تحصلت على الفتوى من نسخة مصورة لبعض الوثائق للشيخ محمد فتح الله باني رحمه الله، زودني بها بعض أفراد عائلة باني ، وكذلك من الأستاذين الفاضلين محمد عطية بن رابعة وعلي مصباح الحارس وفقهم الله وجزاهم خيرا وجعل ذلك في ميزان حسناتهم أجمعين..

[2] : ينظر مواهب الجليل لشرح مختصر خليل للحطاب: 425/7. دار عالم الكتب 2003.

المسألة الثانية:

نص السؤال: الحمد لله. سادتنا أهل العلم رضي الله عنكم وأرضاكم وجعل الجنة متقلبكم ومأواكم، ما الحكم فيمن قال لزوجته أنت طالق . والحال أنها لم تسلم في صداقها له، فهل الطلاق المذكور رجعي أم بائن؟ اجيبوا تؤجروا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

جواب الشيخ محمد باني رحمه الله:
الحمد لله الجواب والله الموفق: أن المطلق طلاقا رجعيا يملك رجعتها قبل انقطاع العدة فلا يفتقر لصداق ولا إذن الزوجة ولا لولي اتفاقا، والرجعة تتم بالقول الصريح أو الفعل الحال محل القول والدال عادة على الارتجاع كالوطء والقبلة بشرط النية . قال في المنهج السالك: فالزوج يملك رجعة زوجته في الطلاق الرجعي ما لم تنقضي عدتها من غير اعتبار رضاها، وتتم الرجعة بالقول وتصح أيضا بالفعل الحال محل القول والدال في العادة على الارتجاع كالوطء والقبلة وما أشبه ذلك بشرط القصد إلى الارتجاع، واختلف المذهب إذا انفردت النية في ذلك دون اللفظ فقيل لا تصح الرجعة بذلك، وقيل تصح وهو الصواب اهـ. والطلاق البائن معروف. وما عداه رجعي. والله أعلم، وكتبه عبده محمد بن فتح الله باني. عفا عنهم آمين.

وعلى السؤال جواب آخر للشيخ أحمد بن محمد الأشهب رحمه الله:

الحمد لله وبعد فالطلاق الواقع من الزوج لزوجته بعد الدخول بها بالقصة المذكورة في السؤال والحال ما ذكر فيه رجعي لا بائن لأن الحكم على الطلاق بالرجعي والبائن حكم شرعي وضع له الشرع سببا ، فإذا وجد سبب الرجعي فالطلاق رجعي ولا يتوقف على معرفة المطلق معنى الرجعي ولا شروطه ولا على نية أنه رجعي ولا على عدم ظنه بائنا، وإذا وجد سبب البائن فالطلاق بائن ولا يتوقف على علمه معنى البائن ولا شروطه ولا نية البينونة ولا عدم ظنه رجعيا، ويملك المطلق رجعتها ما لم تنقض عدتها، فإذا راجعها فلا يفتقر لصداق ولا لإذن الزوجة ولا للولي باتفاق. قال في المنهج السالك : فالزوج يملك رجعة زوجته في الطلاق الرجعي ما لم تنقض عدتها من غير اعتبار رضاها . والله أعلم. وكتبه ناقله أحمد بن محمد الأشهب عفا الله عنهم بمنه وكرمه آمين.

جواب آخر:

الحمد لله الجواب كذلك ، والله أعلم ، وكتبه يونس بن حسن بن عبد المحسن.

جواب الشيخ محمد باني والمشايخ رحمهم الله على أصول الإمام مالك وهو قول جمهور الفقهاء.

ويتبين من خلال السؤال والجواب وكذلك الأجوبة الأخرى من المشايخ في نفس الوثيقة حرص الناس على دينهم ومعرفة أحكام الشريعة فيما يعرض لهم من مشكلات الحياة، وأدبهم مع المشايخ في طريقة السؤال حيث يتصدر السائل سؤاله بقوله : سادتنا أهل العلم رضي الله عنكم وأرضاكم وجعل الجنة متقلبكم ومأواكم . وفي هذا تذكير وتوجيه لعامة الناس ولطلبة العلم باحترام العلماء وتوقيرهم، كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم (ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه)[1] ومن خلال أجوبة المشايخ تتبين دقة أجوبتهم واتحادها، وأمانتهم في عزو الأقوال إلى مصادرها من كتب الفقه الإسلامي، فجزى الله الشيخ محمد وغيره من المشايخ العلماء خير الجزاء وأسكنهم فسيح جناته.

[1] : راه أحمد في المسند : 323/5. وصححه لغيره الأرناؤوط. رقم: 22807. مسند أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني. الناشر : مؤسسة قرطبة – القاهرة.

المبحث الثاني: في سيرة وآثار فضيلة الشيخ عبد الله نور الدين الزدام رحمه الله.

المطلب الأول: التعريف بالشيخ رحمه الله.

هو العالم الجليل الفقيه الفاضل الشيخ عبدالله بن نور الدين بن عبدالنور الزدام. ولد بمدينة زليتن سنة 1934م بقرية الزدام شمال المدينة، عاش يتيما حيث توفي والده وسن الشيخ تسع سنوات، تربى مع أخويه عبد النور ومحمد.

وكحال الناس في مكابدة الحياة لأجل المعيشة، مما كان سببا في تأخير دراسة الشيخ، حيث التحق بزاوية أولاد سليمان السبعة لحفظ القرآن الكريم وعمره واحد وعشرون سنة، وكان من زملائه فيها المشايخ عمر ديهوم وعطية هيبلو ومحمد حامد اليعقوبي الورفلي رحمهم الله، وكذلك الشيخ مفتاح اليعقوبي حفظه الله، وغيرهم من أبناء مدينة زليتن وغيرها، ثم انتقل إلى زاوية مسجد مراد آغا بتاجوراء لطلب علوم الشريعة: التفسير والسنة والفقه واللغة العربية وغيرها من العلوم، ثم انتقل إلى المعهد القويري الديني بمدينة مصراتة، وأتم دراسته به وقد تحصل على الشهادتين الإعدادية والثانوية الدينية، ومعلوم أن معهد القويري يتبع جامعة الأزهر في تلك المرحلة كما أفاد بذلك بعض العلماء الذين درسوا به.

ثم التحق بالجامعة الإسلامية بمدينة البيضاء حيث تحصل على درجة الليسانس في أصول الدين بتقدير عام جيد جداً سنة 1972م. ثم رجع إلى زليتن وعين مدرسا بالمعهد الأسمري الديني من سنة 1972م إلى سنة 1986م ، وبعد قيام حكومة القذافي بإلغاء المعاهد والثانويات الدينية ومدارس وزوايا تعليم القرآن الكريم وجامعات علوم الشريعة والدراسات الإسلامية ، انتقل الشيخ إلى معهد المعلمين مدرسا به إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1996م.

تولى الشيخ خطبة الجمعة، وقام بالوعظ وإلقاء الدروس بمسجد بن حمادي وبعض المساجد الأخرى بزليتن لمدة ثلاثين عاماً تقريبا، وكذلك بالوعظ في المناسبات الاجتماعية مثل الوفيات وغيرها، وافتتاح المساجد، وقد كانت دروسه في الفقه والسيرة والسنة النبوية متميزة بأسلوب سهل ماتع يفهمه العامة وطلبة العلم يخلط فيه بين الفصحى والعامية، وكان فصيح اللسان جهوري الصوت يشد السامع بحديثه الممتع عند إلقاء الدروس والخطب.

كان رحمه الله غزير العلم، فقيها مالكيا، يربط المسائل بفقه الواقع مع الاستدلال بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان كثير الصلات بالناس في مناسباتهم الاجتماعية بزيه الوطني "الجرد الليبي" مع أنه كان في صغره يلبس الجبة والعمامة الأزهرية أحيانا..

وكان رحمه الله شيخا جليلاً تقياً عالماً عاملاً بعلمه عفيف النفس متواضعاً محباً للعلم ولطلبته وللعلماء والدعاة، ويشجع المشايخ الشباب على طلب العلم وخوض مجال الدعوة إلى الله.

وكان الشيخ شجاعا جريئا في خطبه ودروسه وفتاواه لا يجامل أحدا، ولا يتملق للمسؤولين ولا يخاطب ودهم على حساب دينه وعقيدته، ولا يخشى في الحق لومة لائم، وقد تعرض للمضايقات والتحقيقات، وقد سُجن وبعض المشايخ منهم فضيلة الشيخ علي جوان رحمه الله سنة 1978م من قبل السلطات الأمنية آنذاك، وكما تعرض للمضايقات والتهديد من بعض عوام الناس بسبب الدعوة إلى ترك البدع والخرافات..

أقعده المرض آخر سنوات عمره فلزم بيته، غير أن حبه للعلم ولطلابه وإحساسه بواجبه نحو مجتمعه جعله يغالب المرض والآلام فعقد مجالس العلم في بيته، حيث كان يأتيه طلاب العلم ينهلون من علمه في الفقه المالكي والفقه المقارن والسيرة والسنة وشروحها، واللغة العربية والمنطق، فكان يدرسهم أقرب المسالك في الفقه المالكي، وشرح ألفية بن مالك وقطر الندى في النحو ، كما كان يستقبل في بيته المستفتين يفتيهم ويبين لهم ما يصلح شؤون حياتهم، ويفض النزاع بين المتنازعين في الشؤون الاجتماعية والشرعية من منطقة زليتن وخارجها..

كان للشيخ رحمه الله أثر كبير في تصحيح عقائد الناس وتوجيههم إلى الخير، والدعوة إلى التمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وإحيائها، فأحدثت خطبه ومواعظه ودروسه صحوة كبيرة بين أفراد المجتمع بدعوته إلى إحياء سنة النبي صلى الله عليه وسلم والتحذير من البدع والخرافات، وكان يشجع طلب العلم والدعاة ويهتم بهم ويعينهم، رحم الله الشيخ فقد كان من رائدي الصحوة الإسلامية في ليبيا.

تتلمذ على الشيخ عدد كبير من طلبة العلم ، منهم من واصل تعليمه حتى صار من المشايخ والدعاة، منهم على سبيل المثال لا الحصر من المشايخ والأساتذة: الدكتور رحومة بوكرحومة والدكتور محمد البحباح والدكتور محمد الوليد والدكتور سالم بن حسين والدكتور إبراهيم حكومة والدكتور عطية كندي والدكتور المكي أبو فردة والدكتور علي ديهوم والأستاذ أسامة بن صليل وغيرهم كثير. وفق الله الجميع للخير والرشاد ولخدمة دينه.

وللشيخ عبدالله رحمه الله بعض المخطوطات منها:

مخطوط في علوم القرآن الكريم، ومخطوط في الرقائق عن اللسان وآفاته، وبعض الوثائق المتفرقة الخاصة والعامة. وبعض التسجيلات الصوتية له رحمه الله، حيث كان بعض المصلين يقوم بتسجيل خطب ودروس الشيخ، ومن المؤسف لم يظهر إلا قليل منها، وهي تبث ضمن برامج إذاعة نور الإيمان المسموعة زليتن.

عاش الشيخ فقيرا قانعا، وعانى كثيرا من الأمراض والأسقام، وكان آخرها بتر قدمه من أثر المرض. توفي رحمه الله يوم الأربعاء بتاريخ 2005/5/3م عند الساعة الثانية عشر ظهرا، ودفن عصرا بمقبرة الشيخ عبد الله بزليتن. رحم الله الشيخ رحمة

واسعةً وجعل ما قدم لدين الله من علم ودعوة وتعليم صدقة جارية له إلى يوم القيامة، وجمعه مع محبيه بالنبي الكريم والعلماء العاملين في ظله ودرا كرامته... وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً[1].

المطلب الثاني: آثاره العلمية.

للشيخ عبد الله الزدام رحمه الله اختيارات علمية في بعض المسائل التي اجتهد فيها أو اختارها، منها:
المسألة الأولى: القول بجواز اخراج زكاة الفطر طعاما أو قيمة مالية، مراعاة لحاجة الفقير، خلافا لأصل المذهب، وموافقة للفقهاء المتأخرين، وهو الذي رجحه العلماء المحققون المعاصرون وعليه الفتوى في دار الإفتاء الليبية وغيرها.

التوضيح:
حكم زكاة الفطر: قال مالك: تجب زكاة الفطر على أهل البادية كما تجب على أهل القرى وذلك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فرض زكاة الفطر من رمضان على الناس على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين.
مقدارها: عن عبد الله بن عمر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (فرض زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعا من تمر أو صاعا من شعير على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين)[2].
والأصل أن جمهور فقهاء المالكية والشافعية والحنابلة يرون وجوب إخراج الأعيان في صدقة الفطر كالتمر والشعير والزبيب أو من غالب قوت الناس ولا يجيزون إخراج القيمة.
ومذهب الحنفية جواز إخراج القيمة، ونقل هذا القول عن جماعة من أهل العلم منهم الحسن البصري وعمر بن عبد العزيز والثوري، ونقل عن جماعة من الصحابة أيضاً وهذا هو القول الذي اختاره الشيخ عبد الله الزدام رحمه الله وغيره من العلماء المعاصرين، وهو الراجح إن شاء الله ، وذلك لأن الأصل في الصدقةِ المالُ لقوله تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً). والمال في الأصل ما يملك من الذهب والفضة وأطلق على ما يقتنى من الأعيان مجازاً وبيان رسول الله صلى الله عليه وسلم المنصوص عليه إنما هو للتيسير ورفع الحرج لا لتقييد الواجب وحصر المقصود. وأخذ القيمة في الزكاة ثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن جماعة من الصحابة فمن ذلك ما ورد عن طاووس قال معاذ لأهل اليمن: ائتوني بعرض ثياب آخذه منكم مكان الذرة والشعير فإنه أهون عليكم وخير للمهاجرين بالمدينة. وقد عنون الإمام البخاري في صحيحه فقال: باب العرض في الزكاة، وذكر الأثر عن معاذ رضي الله عنه. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: إيراده له في معرض الاحتجاج به يقتضي قوته عنده. ونقل عن ابن رشيد قال: وافق البخاري في هذه المسألة الحنفية مع كثرة مخالفته لهم لكن قاده إلى ذلك الدليل[3].
والمقصود من صدقة الفطر إغناء الفقراء وسد حاجتهم وهذا يتحقق بالنقود أكثر من تحققه بالأعيان وخاصة في زماننا هذا، ومن المشاهد في بعض بلاد المسلمين أن الفقراء يبيعون الأعيان (القمح والأرز) إلى التجار بأبخس الأثمان نظراً لحاجتهم إلى النقود.
وإنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم لما فرض زكاة الفطر من الأطعمة السائدة في بيئته وعصره التيسير على الناس ورفع الحرج عنهم فقد كانت النقود الفضية أو الذهبية عزيزة عند العرب وأكثر الناس لا يكاد يوجد عنده منها إلا القليل، أو لا يوجد عنده منها شيء وكان الفقراء والمساكين في حاجة إلى الطعام من أنواعه الموجودة وقتها، لهذا كان إخراج الطعام أيسر على المعطي وأنفع للآخذ ولقصد التيسير أجاز لأصحاب الإبل والغنم أن يخرجوا (الإقط) وهو اللبن المجفف المنزوع زبده فكل إنسان يخرج من الميسور لديه[4]. والله أعلم.

المسألة الثانية: جواز إحياء ذكرى المولد النبوي في المساجد والبيوت بالضوابط الشرعية، ودراسة السيرة النبوية وتعليمها للناشئة؛ لتكون منهجا لحياتهم ونبراسا ينير طريقهم، مع التحذير من البدع والمخالفات والخرافات الشعبية مثل المدائح والقصائد التي تبالغ في تعظيم شخص النبي الكريم والاستغاثة به، ووصفه بما لا يصح وصفه به، والاحتفال بإيقاد الشموع والنيران والتغني ببعض الأهازيج التي يكون منشأها ومصدرها الشيعة غالبا.

وهو من فقه الواقع والأولويات، والدعوة إلى الوسطية والاعتدال، بين المانعين وبين المجيزين بلا ضوابط، وأن عامة الناس قد اعتادوا على الاحتفال به، ولا بد من ضبط عاداتهم وفق الشريعة الإسلامية، وهو داخل[5] في قوله صلى الله عليه وسلم (ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيئ)[6] وهذا يدل على نظرة الشيخ وفهمه لواقع الشباب في ذلك الوقت حتى لا

[1] سيرة الشيخ رحمه الله تحصلت عليها من أسرته وبعض تلاميذه، جزاهم الله خيرا، وبمعرفتي له الشخصية..
[2] الموطأ للإمام مالك رحمه الله : 329/2. ومسلم: 253/6. رقم 2325.
[3] ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري: 312/3. أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي. دار المعرفة - بيروت ، 1379.
[4] : ينظر الفقه الإسلامي وأدلته. وهبة الزحيلي. دار الفكر دمشق: 385/3. فقه الزكاة للدكتور يوسف القرضاوي. 449/2. والموسوعة الفقهية الكويتية. مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت . وموقع إسلام أون لاين.
[5] : ينظر مجلة مجمع الفقه الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة. ألكتروني.
[6] : أخرجه الإمام أحمد : 379/1. رقم: 3600. وصححه الأرناؤوط.

تجرفهم تيارات العولمة والتغريب والعلمانية، وقد رأينا ذلك ولاحظناه في هذه الفترة، فالشباب بين أفكار التطرف والتشدد وبين هجمات التغريب وتطبيعهم بطبائع وأخلاق الغرب.

المسألة الثالثة: القول بعدم جواز الضرب بالدفوف مع الذكر (الحضرة). وهو قول مالك رحمه الله ومشهور المذهب المالكي وجمهور علماء أهل السنة، وكان يحذر الناس منها وما يصحبها من ألفاظ استغاثة بغير الله وضرب الدفوف وغير ذلك من المخالفات، وفي المنع محافظة على سلامة العقيدة من الشبهات والخرافات.

وفي حكم ما يعرف بالحضرة أقوال لمالك وأصحابه وجمهور الفقهاء بمنعها وتحريمها، وقد ذكر القرطبي رحمه الله في تفسير سورة طه في قوله تعالى (.. فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِي فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ) [1] فقال:

سئل الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله : ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية ؟ أنه اجتمع جماعة من رجال فيكثرون من ذكر الله تعالى وذكر محمد صلى الله عليه وسلم ثم إنهم يوقعون بالقضيب على شيء من الأديم ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشيا عليه ويحضرون شيئا يأكلونه هل الحضور معهم جائز أم لا ؟ أفتونا مأجورين.

وفي مثل هذا ونحوه الجواب : - يرحمك الله - مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون .. وأما القضيب فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى، وإنما كان يجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار، فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق [2].

المسألة الرابعة: القول أحيانا بكفارة اليمين لمن حلف بيمين الطلاق. وهو خلاف ما عليه المشهور من المذهب المالكي، وهو ما عليه الفتوى في الأزهر الشريف وبعض دور الإفتاء الأخرى، استنادا على أقوال بعض أهل العلم منهم ابن تيمية وابن القيم .

واختيار الشيخ لهذا القول هو أخذ بالتيسير على الناس، حيث إن كثيرا منهم لا يعلمون هذه الأحكام وربما لا يقصدون بحلفهم الطلاقَ، ولكن التخويف والتهديد وغير ذلك.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله اختلاف العلماء في اليمين بالطلاق والعتق والشرط وغير ذلك هل يلزم أم لا؟ وروى عن علي بن أبي طالب وشريح وطاووس : لا يلزم من ذلك شيء ولا يقضى بالطلاق على من حلف به فحنث. وهو قول عطاء وعكرمة[3]. والله أعلم.

المسألة الخامسة: منع قراءة القرآن والذكر والتسبيح للأموات وأخذ الأجرة عليها فيما يعرف بالختمة والتاليفة، ومنع ورقة سؤال القبر. وأن القرآن منهج حياة ينبغي للناس أن يعظموه ويعملوا به ويتمسكوا به وبسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

ويستدل رحمه الله بقوله تعالى (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) [4] وبحديث الرسول صلى الله عليه وسلم (اقرؤوا القرآن ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه) [5].

وغيرها من المسائل التي كان يقول بها أو يختارها الشيخ عبد الله رحمه الله ، وبعضها مخالف لمشهور المذهب المالكي. وكما تقدم في سيرته أن الشيخ رحمه الله من فقهاء المذهب المالكي، وقد يختار أحيانا القول بغير المشهور أو بمذهب آخر بما يثبت به الدليل وبما يكون فيه الخير والفائدة للناس مراعيا في ذلك الخلاف والذي هو أصل من أصول الإمام مالك رحمه الله، وكذلك مراعيا فقه الواقع، فجزاه الله خيرا.

[1] سورة طه 87- 88.

[2] : ينظر الجامع لأحكام القرآن : 212/11. والمدخل لابن الحاج الفاسي المالكي: 182/3.

[3] ينظر إعلام الموقعين عن رب العالمين. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزيه. دار الجيل - بيروت ، 1973. تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد.

[4] : سورة النجم: 39.

[5] رواه أحمد في مسنده: 428/3. رقم: 15568. وصححه الأناؤوط.

الخاتمة

ـ الناظر والمطلع في سيرة علمائنا يجد أن كثيرا منهم قام بدوره في نشر العلم وتعليمه مع شظف العيش وقلة ذات اليد.
ـ ترك علماؤنا عددا كبيرا من التحريرات والتوثيقات للفتاوى والتحكيمات، وذلك يحتاج إلى تحقيق ودراسة وطباعة ونشر ليستفيد منها الناس وبخاصة العلماء وطلبة العلم.
ـ التوسط والاعتدال والتمسك بمذهب الإمام مالك ـ وهو مذهب يستوعب المذاهب الأخرى ـ مع مراعاة الخلاف، سمة لعلمائنا، وعلى الناشئة التحلي بها والاقتداء بأسلافهم فيها.
ـ في دراسة علماء بلادنا وآثارهم العلمية تربية للأجيال وتعريف لهم بدور علمائهم السابقين في خدمة الشريعة الإسلامية ونشر العلم والمعرفة والوسطية في التدين.

التوصيات:

ـ يوصي الباحث المؤسسات العلمية والدعوية بضرورة المحافظة على تراث علماء بلادنا والعمل على نشره ونشر سير حياة العلماء وما تحملوه وبذلوه في سبيل العلم وتعليمه.

ـ يوصي الباحث بإنشاء مجمع للفقه المالكي ببلادنا يجمع تراث علمائنا السابقين والمعاصرين ، وتقديم دراسات وأبحاث للنوازل خاصة وفق أصول المذهب المالكي خدمة للدين والوطن.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم .
الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي . أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671 هـ). دار عالم الكتب، الرياض.
إعلام الموقعين عن رب العالمين. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزيه. دار الجيل - بيروت ، 1973. تحقيق : طه عبد الرءوف سعد.
الفقه الإسلامي وأدلته. وهبة الزحيلي. دار الفكر. دمشق. الطبعة الرابعة.
فتح الباري شرح صحيح البخاري. لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي. دار المعرفة - بيروت ، 1379.
فقه الزكاة. دكتور يوسف القرضاوي. مؤسسة الرسالة. بيروت لبنان. الطبعة السابعة. 2001م.
المدخل لابن الحاج. المؤلف: أبو عبد الله محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج ت ٧٣٧هـ.
صحيح مسلم. أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة ـ بيروت . مكتبة دار التراث. القاهرة.
الموسوعة الفقهية الكويتية. الكترونية.
مسند أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني. الناشر : مؤسسة قرطبة – القاهرة.
مواهب الجليل لشرح مختصر خليل. أبو عبد الله محمد بن محمد الطرابلسي الحطاب الرُّعيني (المتوفى : 954هـ). المحقق : زكريا عميرات. الحطاب. دار عالم الكتب 2003.
موطأ الإمام مالك. مالك بن أنس الأصبحي المدني، إمام دار الهجرة. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. دار الحديث. القاهرة.
موقع إسلام أون لاين.
وثائق فتاوى لمجموعة علماء البلد في بعض النوازل ..

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.